سلسلة المواعظ الذهبية من
الكتاب والسنة

٣

نعمة الزواج
وصلاح الزوجين

تأليف
أبي منير عبد الله بن محمد عثمان الذماري

خرجه وعلق عليه
أبو الوليد محمد بن سعيد الحضرمي

دار الآثار
صنعاء

254.1
ن ع

٢٥٤/١
دم ن

سلسلة المواعظ الذهبية من
الكتاب والسنة النبوية
٣

نعمة الزواج وصلاح الزوجين

تأليف
أبي منير عبدالله بن محمد عثمان الذماري

خرجه وعلق عليه
أبو الوليد محمد بن سعيد الحضرمي

دار الآثار
صنعاء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٥١٥

دار الآثار للنشر والتوزيع

www.dar-alathar.com

اليمن: صنعاء- شارع تعز- حي شميلة- مقابل جامع الخير- ص.ب ١٧١٩٠ فاكس ٦٠٣٢٥٦

(١ ٩٦٧+) هاتف: الإدارة ٦١٣٣٦٥ المكتبة ٦٣٣٧١٧ بريد إلكتروني info@dar-alathar.com

- فرع صنعاء: الدائري الغربي- عمارة الخولاني-هاتف ٢٠٥٠٨٥
- فرع عدن: كريتر- بجوار مسجد أبان- هاتف ٢٦٦٩٨٦
- فرع المكلا: الشرج - أسفل المسجد الجامع من جهة القبلة-هاتف٣٠٧١١٢
- فرع دماج: دار الحديث - مقابل مسجد أهل السنة هاتف ٥١٩٣٢١

الوكلاء خارج اليمن

- مصر: دار الآثار: القاهرة - عين شمس الشرقية- هاتف ٦٣٦١٣٧٨٦ - فاكس ٦٤٢٢٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله، فلا مضلّ له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده، ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمنون،

يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

ويقول الله في كتابه الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. فالقلوب المؤمنة تطمئن في مجالس العلم؛ لما يلقى على مسامعها من كتاب الله الكريم، ومن سنة محمد ﷺ.

وإن الزواج نعمة من نعم الله رب العالمين؛ لأن الله حرم على الناس الزنا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فالزنى محرم في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ. ومع ذلك، فإن الله عز وجل فتح لنا أبواب النعمة، والحلال.

فأبواب الحلال مفترحة، فلا يجوز للمسلمين أن يكونوا سببا في سد هذا الباب العظيم، الذي فتحه الله عز وجل على المسلمين بِيُسْرٍ، فعسَّره الناس.

● جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له

وجاء»[1].

وفي هذا الحديث نعلم أن الإسلام اهتم اهتماما بالغا بشئون المسلم الاجتماعية، كما اهتم بشئونه العقائدية، والتعبدية، وفي كل الأمور. فالإسلام يضع لكل أمور الإنسان علاجًا؛ فهو يقول ﷺ -اهتماما بأمر الشباب-: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، لماذا؟ «فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج».

الإسلام يضع الوقاية من عذاب الله في جهنم، «فمن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»، حتى ييسر الله له سبيل الزواج.

ولذلك الله -سبحانه، وتعالى- يبين للرجل المؤمن الصالح من يختار لابنته، فالناس في هذه الأيام مقاييسهم، ومفاهيمهم قد تغيرت: مقاييسهم بالأموال، والمناصب، والصور، والأحساب، والأنساب، ويأبى الله إلا أن يضع مقاييس الناس، ويرفع مقياسه ﴿ إِنَّ

---

(1) رواه البخاري (٥٠٦)، ومسلم (١٤٠٠).

أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون خُلُقَه، ودينه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»[١].

«فزوجوه»، فيه أمرٌ من رسول الله ﷺ. فإذا رضيْتَ دين الشاب، وخُلُقه، وجب عليك أن تزوِّجه.

«إلا تفعلوا»، فإن ابتعدتم عن هذا الأمر، ورفضتموه هناك، تنتشر الفتن، والرذيلة، وتُرْفعُ الفضيلة.

«تكن فتنة في الأرض، وفساد كبير»، وما أكثر الفساد في هذه الأيام؛ نتيجة أن كثيرا من المسلمين ابتعد عن الفضيلة. ولقد سمعنا، وتكرر على مسامعنا أن هناك من الناس من يُقْتَل؛ من أجل هذه المصيبة! لماذا؟ لتعكيره للشباب أمر الزواج. فربما يأتيه الشاب

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) وابن ماجه (١٩٦٧) واللفظ له، وفيه ضعيف، لكن معناه صحيح. وقد حسنه الألباني، لشواهده في "الصحيحة" (١٠٢٢) و"الإرواء" (١٨٦٨).

خاطبا لابنته، فيطلب منه المئات من الآلاف، ولا يتحرَّى أمر دينه، وأخلاقه، ولا يتحرَّى بيئته الطيبة التي عاش فيها، لكن إذا رأى المال، وهو يبرق، والسيارات، وهي تتحرك، والقصور، وهي مشيدة، هناك يغتر بهذه المناظر، ثم لا يشعر بنفسه إلا وقد أصبح قتيلا لهذه الشهوة الخبيثة.

انظروا!

وليقس كل مسلم منا نفسه بعقل امرأة مسلمة حديثة عهد بدين. هذه المرأة المؤمنة هي أم سليم رضي الله عنها.

● روى النسائي في سننه (٦/ ٩٣) بسند صحيح من حديث أنس أنه قال: «تزوج أبو طلحة أم سليم، فكان صَداق ما بينهما الإسلام. أسْلَمَتْ أم سليم قبل أبي طلحة، فخطبها، فقالت: إني قد أسْلمتُ، فإن أسلمتَ نكحْتك. فأسْلم، فكان صداق ما بينهما».

وفي رواية ثابت عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم

سليم، فقالت: والله ما مثلك -يا أبا طلحة- يُرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأةٌ مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك. فإن تسلم فذاك مهري. وما أسألك غيره. فأسلم، فكان ذلك مهرها.

قال ثابت: فما سمعنا بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم: الإسلام.[1]

هكذا تقول المرأة المسلمة، ما اغترت بأمواله، وكان من أكثر الأنصار أموالا، فلم تطلب منه أموالا كثيرة، ولا ذهبًا، ولا غيره، وإنما طلبت منه أن يسلم لله رب العالمين، وأن يجعل إسلامه صداقًا لها. فأسلم أبو طلحة ﵁، وجعل الله منه رجلًا، مؤمنًا، صالحًا، خدم الدين حتى توفاه الله بإسلام، وبعقل هذه المرأة المؤمنة، وبإيمانها الراسخ السليم.

وروى أبونعيم في «الحلية» من حديث أنس، قال:

---

(١) صححه الألباني في صحيح «سنن النسائي» برقم (٣٣٤٠، ٣٣٤١)، والوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٨٩-٩٠).

جاء أبوطلحة، فخطب أم سليم، وكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة، ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة، لا يصلح لي أن أتزوجك.

فقال: ما ذاك مهرك؟

قالت: وما مهري.

قال: الصفراء، والبيضاء.

قالت: فإني لا أريد صفراء، ولا بيضاء، أريد منك الإسلام.

قال: فمن لي بذلك؟

قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ. فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبوطلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فجاء، فأخبر النبي ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.[1]

---

(١) رواه الطيالسي (٢٠٥٦)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٧١) (١٥١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٥)، وصححه =

و(الصفراء، والبيضاء) هما: الذهب، والفضة، كما في كتب اللغة. وأراد أن يُغريها بذلك، أين أنتِ أعطيكِ ما شئت؟ فقالت: لا حاجة لي بذلك.

انظروا، وقيسوا -إخوة الإيمان-، إيمانها -وهي امرأة ضعيفة- بإيمان علمائنا في هذا العصر، وإيمان من يدعي العلم، والإيمان، والالتزام.

وخذوا تجربة من حالكم، وواقعكم، فإنكم ستجدون الفرق شاسعًا بين إيمان امرأة حديثة عهد بإيمان، وإسلام، وبين إيمان أهل زماننا، الذين أصبح الكثير منهم يزعم الإيمان زعمًا.

فأصبح الناس يؤمنون بالمظاهر، ولا يهتمون بأمر المخابر.

الآن، إن كنت تأتي، وأنت صاحب أرصدة، وتجارة، وسيارات، وأموال باهظة، فعلى الرحب والسعة، لا نبالي إن كنت ملتزمًا، أو لم تكن ملتزمًا.

= الألباني في «أحكام الجنائز» ص (٢٤-٢٦).

نحن نريد أن نستقدم منك أموالاً، وأن نأخذ منك ما نغذِّي به الشَّهوات.

هذا حال الناس اليوم، والرسول هناك يضرب لنا الأمثال، ويبين لنا الأحوال، ويختبر أصحابه، وتلاميذه، وأمته.

● ثبت في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عنده جالسٌ: «ما رأيك في هذا؟». فقال: رجل من أشراف الناس: هذا -والله- حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع. قال: فسكت رسول الله ﷺ. ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟». فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين. هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض

من مثل هذا »[1].

فهذا رجل مسلم واحد فقير ضعيف، لكنه قوي بإيمانه، وعقيدته، وإسلامه، وهو ضعيف أمام الناس؛ لأنه لا يملك مالا، ولا جاهًا، ولا ذا سلطة، بل ضعيف يسجد، ويركع لرب العالمين. فـ«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»، ولم يقل: خير من ثلاثة، ولا عشرة، ولا من مائة، ولا ألف، بل من ملء الأرض مثل هذا.

فالإسلام لم يهتم بالمظاهر فقط، بل اهتم بالمخبر قبل المظهر.

● روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم،

---

(١) رواه البخاري، برقم (٦٤٤٧)، وهو من أفراد البخاري، ولم يروه مسلم، كما نبه الحفاظ، فأخطأ من جعله من المتفق عليه. انظر «تحفة الأشراف» (٤٧٢٠)، وتعليقات الحافظ ابن حجر عليها المسماة بـ«النكت الظراف».

ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، وفي رواية «ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم».[1]

فالقلوب، والأعمال مقياس إلهي، يجب أن يهتم المسلمون به.

فما موقف الشاب المؤمن؟

● عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك».[2]

«تنكح المرأة لأربع»، أي: الناس يتسابقون على المرأة لأربع خصال، أو جلُّ مسابقتهم على أربع خصال في المرأة.

والرسول ﷺ يقول لك -أيها الشاب المؤمن-:

---

(١) رواه مسلم، برقم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري، برقم (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦). ولمسلم (٧١٥) من حديث جابر بن عبد الله في النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين.

«اظفر بذات الدين»، لا مانع أن تكون جميلة إضافة إلى دينها، وأخلاقها، ولا مانع أن تكون ذات نسب إضافة إلى هذا الدين، ولكن ليكن المحور الذي عليه تدور، وباسمه تهتف أن تكون المرأة من ذوات الدين، من المؤمنات الصادقات.

لماذا؟

لأنك إن أمِنْتَ دينها -فهي مؤمنة مسلمة- فأنت ستأمنها على كل شيء؛ لأنها ستصبح شريكة لك في حياتك كلها: فهي الأمينة في بيتك، وأولادك، وسرك، والكثير من شئون حياتك.

فإذا كانت من ذوات الإيمان، والالتزام، والدين، فإنها ستحفظ عليك مالك، وستحفظ عليك عرضها بداية، وستحفظ عليك شرفك، وستحفظ عليك أولادك.

فاظفر بذات الدين تربت يداك.

الشاب المؤمن يجب أن تكون عنده هذه الهمة القوية، فيبحث عن المرأة المؤمنة، المسلمة، الملتزمة

بكتاب الله، وبسنة رسوله ﷺ.

وإنك لن تتمتع متعة طيبة في الدنيا إلا إذا حضيت بالمرأة الصالحة.

● فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع. وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».(١)

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهني».(٢)

المرأة الصالحة هي التي إذا أمرتها أطاعتك، وإذا دعوتها أجابت دعوتك، وإذا نهيتها انتهت عند نهيك، فهي مقيدة بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم، برقم (١٤٦٧).

(٢) رواه ابن حبان (٩/ ٣٤٠) (٤٠٣٢)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (١٢/ ٩٨)، والبيهقي في "الشعب" (٧/ ٨٢). وانظر "الصحيحة" (٢٨٢، ١٠٤٧)، و"الصحيح المسند" للوادعي (١/ ٣٢٤).

عن أبي هريرة قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النّساء خيرٌ؟ قال: «التي تسرُّهُ إذا نظر، وتطيعُهُ إذا أمَر، ولا تُخالفه في نفسها، وماها بما يكره».(١)

وما أعجب السلف الصالح -رضي الله عنهم، وأرضاهم- كيف كانوا يبحثون عن الرجل، والشاب الصالح في العصر الذي تَغُطُّ الأرضُ بالصالحين، ومع ذلك كانوا يبحثون عن الأصلح.

● ففي صحيح البخاري «أن عمر بن الخطاب حين تأيّمتْ حفصة بنت عمر من خُنيس بن حُذافة السهميّ -وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفي بالمدينة-، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان، فعرضتُ عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالِيَ. ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصدّيق، فقلتُ: إنْ

(١) رواه النسائي (٦/٥٦)، وأحمد (٢/٤٣٢)، والبيهقي في "الكبرى" (٧/١٣١)، وهو في "الصحيحة" (١٨٣٨)، و"صحيح النسائي" (٣٢٣١).

شئتَ زوجتُكَ حفصةَ بنتَ عمرَ. فصمت أبو بكر، فلم يَرجعْ إليّ شيئًا. وكنتُ أوجَدَ عليه مني على عثمان. فلبثتُ ليالي. ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه. فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدتَ عليّ حينَ عرضتَ عليّ حفصةَ فلم أرجع إليك شيئًا.

قال عمر: قلت: نعم.

قال أبو بكر: «فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عَرَضتَ عليّ إلا أني كنتُ علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ. ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها».[1]

عُمر يَعْرض ابنته على عثمان، لا من أجل ماله، ولا من أجل منصبه، وقربه، لا، لكنْ من أجل دينه.

فكان السلف الصالح يبحثون لبناتهم عن الرجال الصالحين، الذين يقودونهن إلى طريق الخير، والنجاة.

---

(١) رواه البخاري، برقم (٥١٢٢).

هذا سعيد بن المسيِّب -وهو يعتبر من أفاضل التابعين، وعلمائهم رحمهم الله- يأتي الخليفة عبد الملك بن مروان يخطب ابنته لابنه الوليد، فأبى عليه.

كيف ترفض خليفة؟

أأنت مغرور؟

ترفض خليفة يتربَّع على كُرسيِّ الخلافة، وهو يدير دولة المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها؟

نعم. إنه يخاف على ابنته من فتنة الرئاسة، والزعامة، هكذا يا أخي فيأبى أن يزوجها بالوليد. ويومها كان بمثابة ولي العهد لأبيه، وسيأتي عليه يوم ليكون خليفة.

يرفض سعيد بن المسيِّب أن يزوّج ابنته بهذا، صاحب الرئاسة، والملك، والزعامة، والبطش، والقوة.

ثم تستمر الأيام، (وكان عند سعيد بن المسيِّب طالبٌ من طلابه اسمه كثير بن أبي وداعة، يقول: كنتُ أجالسُ سعيدَ بن المسيِّب، ففقدني أيامًا. فلما جئتُه،

قال: أين كنتَ؟ قلتَ: تُوُفِّيَتْ أهْلِي، فاشتغلْتُ بها. فقال: ألا أخْبَرتنا؛ فشهدناها. ثم قال: هل استحدثْتَ امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزوِّجني، وما أمْلِكُ إلا دِرْهمين، أو ثلاثة؟ قال: أنا.

فقلت: وتَفْعل؟ قال: نَعَمْ. ثم تحمَّد، وصلى على النبيِّ ﷺ، وزوَّجَني على درهمين، أو قال: ثلاثة).

هكذا عالمٌ من علماء الدين يخطب ابنته خليفة، فيأبى، ثم يأتي طالبٌ من طلابه الفقراء، لا يملك على وجه الأرض إلا درهمين، أو ثلاثة، فيعرض ابنته عليه عرضًا.

ثم قال: (فقمتُ، وما أدري ما أصنَعُ من الفرح، فصِرتُ إلى منْزلي، وجعلتُ أتفكَّر ممن أستدين، فصلَّيتُ المَغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائمًا، فقدَّمتُ عشائي أُفْطِر، وكان خُبْزًا، وزيتًا، فإذا بابي يُقْرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: سعيد. فأفكرْتُ في كُلِّ من اسمُه سعيد، إلّا ابن المسيَّب؛ فإنّه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بَيْتِهِ، والمسجد. فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت

أنَّه قَدْ بدا له، فقلتُ: يا أبا محمد، ألا أرسلْتَ إليَّ، فآتيك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تُؤتى. إنك كُنتَ رجُلاً عَزَبًا، فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك. وهذه امرأتُك. فإذا هي قائمةٌ مِنْ خلْفهِ في طوله، ثم أخَذَ بيدها، فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطتِ المرأةُ مِنَ الحياء، فاستوثقْتُ مِنَ الباب، ثم وضعْتُ القَصْعة في ظلِّ السراج؛ لكي لا تراه...، فأتت ثلاثا، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل النساء، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنَّة رسول الله ﷺ، وأعْرَفِهم بحقِّ الزَّوْج).[1]

فالزوج له حقوق يجب أن تؤديها المرأة المؤمنة كما أنَّ المرأة لها حقوق. يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

انظروا إلى سلفكم الصالح كيف كانوا يبحثون عن

(١) رواها أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٩١-١٩٢)، وأوردها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٣).

رجال صالحين لبناتهم؟ وإنا نعلم أن كل أبٍ يحبُّ ابنته، ولكنَّ الجهل هو الذي يتحكم في كثير من الأوقات بالعقول، فأنت عند أن تبحث لابنتك عن رجلٍ صالحٍ، لابد أنه سيراعي حقوقها، ويؤديها، وسيعاشرها معاشرةً حسنةً، وموافقة للكتاب، والسنة، وسيراعي ضميرك، وجميلك الذي أسديته إليه في السابق، ولابد أن يرعاها رعايةً حسنةً.

لذلك يأتي رجل إلى الحسن ﷺ، فيقول له: ماذا تأمرني بمن أزوّج ابنتي؟

فقال له الحسن: زوّجها بمؤمن؛ لأنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لا يظلمها.

فنحن إذا فعلنا هذا تيسرت كثيرٌ من الأمور، فالآن يقف الشباب حيارى أمام هذه المشكلة التي يعاني منها المجتمع، ربما بجهله يطبق المنهج الذي عليه الشيوعية، والكفار، بل ويفضله، بسبب تيسيرهم للزواج، وهو لا يعلم أن تلك إباحية فظيعة تضرُّ بالمجتمع، والأنساب،

لكن لجهله يفضّل أن يمضي على منهجهم؛ لأنهم ييسرون، ولذلك ما استطاع هؤلاء أن يُغروا كثيرًا من شباب الإسلام إلا بمثل هذه الأمور.

لماذا؟

لأن الرجل المؤمن، الساجد، الراكع هو الذي أصبح حجر عثرة أمام هذا الزواج الشرعي، وأمام هذه الفضيلة العظيمة.

إنّ هناك من الناس من إذا قيل له: اتقِ الله، يسّر على الشباب أمر الزواج. يقول: أنا من جيز فلان، لو نقَّصتُ شيئا من المبلغ الذي أخذ فلان، لكان النقص فيَّ، وهذا خطأٌ، ومفهومٌ قاصر.

نقول له:

أأنت أفضل، أم محمدٌ ﷺ؟

نسبك أرفع، أم نسبه؟

ابنتك أفضل، أم فاطمة بنتُ محمد ﷺ، وأرضاها؟

فيجيب -وهو لا يستطيع أن يقول غيره-: هم أفضل.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم، وحشوه ليف.[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عليًا قال: تزوجت فاطمة رضي الله عنها، فقلتُ: يا رسول الله، ابْنِ بي. قال: «أعطها شيئًا». قلت: ما عندي من شيء. قال: «فأين درعك الحُطمية؟». قلت: هي عندي. قال: «فأعطها إيّاه».[2]

أعطاها درعا، ولم يكن عندهم غرف نوم، ولا الكراسي الرافهة، ولا المفارش الضخمة.

إذن من أفضل؟

أأنت، أم محمد ﷺ؟

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٦).

(٢) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٦/١٠٥)، وغيرهما. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١/٥٩٣)، وشيخنا مقبل بن هادي في «الصحيح المسند» (١/٥٠٩).

يزوِّج ابنته لعليٍّ، وهل اختار عليًا لقربه؛ لأنه من أبناء العم، ومن العشيرة، والقبيلة؟

لا، اختاره، لدينه، وعقيدته، والتزامه، وتمسكه بدينه.

اختاره؛ لأنه قال فيه -ﷺ- يوم خيبر: «لأعْطِينَّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ، ورسولَه، ويُحِبُّه اللهُ ورسولهُ». فبات الناسُ ليلتهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يرجوه، فقال: «أين علي؟» فقيل: يشتكي عينيه. فبَصَقَ في عَيْنيه، ودعا له، فبَرَأَ كأنْ لم يكن به وجعٌ، فأعطاه».[1]

● و(تأتي امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ، فتقول: يا رسول الله، جئتُ؛ لأهبَ لك نفسي، فنظر إليها رسولُ الله ﷺ، فصعَّدَ النظرَ إليها، وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه. فلما رأت المرأةُ أنه لم يقض فيها شيئًا جَلَسَت، فقام

(١) رواه البخاري، برقم (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل ابن سعد الساعدي.

رجلٌ من أصحابه، فقال: أي رسول الله، إن لم تكن لك بها حاجة، فزوِّجنيها. فقال: وهل عندك من شيء؟ قال: لا، والله يا رسول الله. قال: اذهب إلى أهلك، فانظر هل تجد شيئا. فذهب، ثم رجعَ، فقال: لا، والله يا رسول الله ما وجدت شيئا. قال: «انظر، ولو خاتمًا من حديد». فذهب، ثم رجع، فقال: لا، والله يا رسول الله، ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزاري، فلها نِصْفُه. فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك؟ إن لَبِسْتَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لَبِسَتْهُ لم يكن عليك منه شيء. فجلس الرجلُ حتى طال مجلسه، ثم قام، فرآه رسول الله ﷺ مولِّيًا، فأمر به، فدُعيَ. فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا، وسورة كذا، وسورة كذا. عادَّها، قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلب؟» قال: نعم. قال: «اذهب، فقد ملكتكها بما معك من القرآن».[1]

---

(١) رواه البخاري، برقم (٥١٢٦)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل=

المجتمع الصالح، المؤمن، الذي رفعه الله -عز وجل- كانت أحوالهم ميسرة، وليست معكرة. والآن من الآباء من يشترط لابنته التلفاز، ويجعله من الشروط التي إذا لم يُوفِ بها، فإنّ العقد ينقض.

وآخر يشترط أن لابد من مجيء المُزمّر، أو لابد من فيديو، أو أن تكون موظفة في الدائرة الفلانية، أو المؤسسة الفلانية.

من أين جاءت هذه الشروط؟

إنه الانحلال، والهزيمة الإيمانية.

أيها المؤمنون،

فلنراجع حسابنا مع الله رب العالمين، قبل أن تحل بنا المصائب، أو تتنزل علينا الفتن. وأنا أقول لكم: إن الذين اشترطوا هذه الشروط أكثرهم أصيبوا بالمشاكل في بداية الزواج، وستجدونهم في مشاكل طاحنة في أوساط

= أيضًا.

البيوت؛ لأنهم أسسوا الأسر على غير تأسيسٍ شرعي.

الإسلام من بدايته يريد أن يؤسس الأسرة تأسيسًا سليمًا، وصحيحا حتى تكون الأسرةُ سليمةً من الأمراض، والفتن، والأحداث، فتُصْبح آمنةً في بيتها؛ لأنها أنشئت نشأةً إيمانيةً، إسلاميةً، على كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

فهذه الأيام تجد الأنين: هذا يئن من زوجته، وهذا من أنسابه، وهذا من أولاده، فأصبح الكثير من الناس لا يملكون أولادهم، لماذا؟

لأنهم سيذهبون إلى خالهم، أو غيره، ويفرضون عليه ما لا يريد. يقول قائلهم: أنا أخرجتُ من بيتي التلفزيون. وإذا بخال الأولاد يأتي بالتلفزيون من جديد، ويدخله البيت، ويقول: لا تظلم أولادك.

أأنت الظالم، أم هو؟

من الظالم الآن في ميزان الدين؟

الظالم الذي يقدمهم إلى نار جهنم، أو الظالم الذي يريد أن يبعدهم عن النار، عملا بقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾؟ [التحريم: ٦]

انعكست المفاهيم، وتقلبت المعايير عياذا بالله.

لماذا؟

لأنه أصبح الكثير من الناس لا يعرف إلا القليل من كتاب ربه، وسنة نبيه ﷺ ولذلك وجب على كل مسلم مِنَّا أن يهتم بأمر أسرته من الصغير إلى الكبير: فيهتمُّ بالبنتِ، ويربيها، ويعلم لمن يضعها، يضعها لرجل مؤمن صادق.

كذلك الشاب لا يغتر بالمظاهر، ولا ينظر إلى اللواتي لا يلتزمن بالكتاب، والسنة، بل يجب عليه أن يبحث عن امرأةٍ مؤمنةٍ، سليمةِ العقيدة، ملتزمة بكتاب

الله، وبسنة رسول الله ﷺ.

وفي هذه الأيام نرى مبشرات كثيرة -حتى لا ييأس المؤمنون- والله إنا لنجد رجالاً ممن يلتزم بالكتاب، والسنة، يبحثون عن رجالٍ صالحين لبناتهم بحثا، حتى إن الرجل ليوصي إخوانه، فيقول لهم: يا إخوة، ابحثوا لي عن شاب مؤمن.

فالمؤمنون -والحمد لله- أصبحوا متعقلين بالقضية؛ لأنهم قد سئموا من المشاكل، والأحداث، وما وجدوا طمأنينة في كثرة الأموال؛ لأنها إذا جاءت من غير طريقها الشرعي، فإنما تأتي بالشر، وبالويلات، والمصائب، أصبحوا الآن يبحثون عن راحة القلوب، والنفوس، والأرواح، وعن الأمر الذي يقربهم إلى الله عز وجل.

فبشراكم يا عباد الله، إنه الآن -والحمد لله- أصبح الكثير من الآباء الملتزمين بالكتاب، والسنة يبحثون عن رجال صالحين.

ولقد سمعنا ببنات صالحات، وشاباتٍ مؤمنات تأبى الزواج برجال ليسوا ملتزمين بالكتاب، والسنة، مهما كلفها ذلك.

نسأل الله -عز، وجل- أن يهيئ لنا أمر رشد، إنه على كل شيء قدير.

اللهم إناَّ نسألك أن ترزقنا: الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى.

اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا أبدا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا، وآثرنا، ولا تُؤثر علينا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم اهْدِ شباب المسلمين، وبناتهم إلى العمل بكتابك، وسنة رسولك، وردنا إلى الإسلام ردا جميلا، يا أرحم الراحمين. وصلى الله، وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.